جامعة عين شمس
كلية التربية
قسم الفلسفة و الاجتماع

الأسس الفلسفية والميتافيزيقية للاخلاق الكوزموبوليتانية
دراسة تحليلية مقارنة بين فكر المدرسة الرواقية والمسيحية

إعداد
مارينا مجدي جاد حنا
المعيدة بالقسم
إشراف
أ.د\ محمد سيد حسن
أستاذ الفلسفة – كلية التربية – جامعة عين شمس
د\ فاطمة بكر سيد
مدرس الفلسفة – كلية التربية – جامعة عين شمس
د\ سماح عبد الحكيم
مدرس الفلسفة – كلية التربية – جامعة عين شمس
2023م

ملخص

شكلت مسألة الاخلاق أهتمام الفلاسفة علي مر العصور منذ قديم الازل و حتي الان ،فقد تم تعريف الاخلاق بأنها: مجموعة القيم و المبادئ و الصفات التي تحكم حياة الانسان و تقاس بناء عليها أعماله إذا كانت صالحة أم طالحة ، و بما أن الانسان هو جزء أساسي من المجتمع، فبالتالي يحيا المجتمع بالاخلاق و يصبح مجتمعا صالحا ، لانها ببساطه هي أساس صلاحه و القوام الذي ترتكز عليه .

و تبرز أهمية دراسة العلاقة بين الرؤية الكونية و الاخلاق كأساس لتقييم تاريخ الحضارة ، حيث ظهرت العديد من المدراس و المذاهب المختلفة قديما محاولة الربط بين الرؤية الكونية و الاخلاق كنظريات (الواجب ، المنفعة ، الماركسية ، الوجودية ، المثالية) ، بدءا من الحضارات الهلينستية ، مرورا بالعصور الوسطي سواء كانت مسيحية أو أسلامية و حتي العصور الحديثة و المعاصرة . و التي أدركت أن قيام الحضارة لا يتم إلا بالتوفيق و الترابط بين هذين الامرين أي " الاخلاق و الرؤية الكونية " .

و السؤال هنا :إلي أي مدي أستطاعت هذه المذاهب و الفلسفات أن تقدم لنا الحلول الحقيقية لتحقيق أخلاق كونية يتستظل جميع البشر بظلها و نستطيع بالفعل أن نحقق قيم أخلاقية عملية مثل " التسامح و المساواة و عدم العنصرية ؟

وهذا ما ستحاول الدراسة الحالية الاجابة عليه عبر مقارنة بين الفكر الاخلاقي الكوني عند المدرسة الرواقية والاسس الفلسفية التي استندت عليها و بين المدرسة المسيحية وممثلها القديس اوغسطين لإدراك مدي الاتفاق والاختلاف وتأثير الاساس الفلسفي والميتافيزيقي على تصوراتهم المتعلقة بالاخلاق الكونية.

الكلمات الرئيسية:

الاخلاق الكوزموبوليتانية – المواطنة– النسق الاخلاقي– التنوع– الانسانية

مقدمة

ان رسالة الاخلاق الحقيقية هي تحويل العالم من المرتبة الطبيعية الصرفة إلي المرتبة الاكسيولوجية الحقيقية . و معني هذا ان الاخلاق تضطلع بمهمة المساهمة في أيقاظ الإحساس بالقيم الانسانية العليا لتتجه نحو المثل العليا في تحقيق إنسانيتها .([i])و في الحقيقة تري الباحثة أن الدعاوي التي قامت علي أساس المناداة بضرورة وجود أخلاق عالمية يتفق جميع البشر عليها ، لم تظهر في الوقت الحالي فقط بل تعود نواتها إلي عصور ما قبل الميلاد، و مع مرور الوقت ظهرت الان العديد من التيارات التي تنادي بالتأكيد علي البعُد الاخلاقي و تعزز التسامح بين البشر و تقوم علي أسس و معايير يقرها الجميع بغض النظر عن دياناتهم و ألوانهم و ألسنتهم .

و علي سبيل المثال نجد أن أهم المبادرات التي تنادي بالسلام العالمي في عصرنا الحالي هي مبادرة المفكر الكاثوليكي الكبير (هانز كينجHans kung 1928–2021)([ii]) الذي أطلق مبادرته عام 1991 م بمدينة شيكاغو واضعا مقولته المعروفة (أنه لا سلام في العالم إلا بالسلام بين الاديان ، و لا سلام بين الاديان الا بالتلاقي فيما بينهم علي أخلاق عالمية للسلام و العدل و الحرية و التسامح).

ولكن يجب التوضيح بأنه علي مر التاريخ و تقلب الانظمة العالمية التي تسيدت العالم لفترات مختلفة لاحظنا أن هذه الانظمة تعاني من أزمة حقيقية تؤدي لفشلها و سقوطها في نهاية المطاف ، هذه الازمة تظهر عند غياب " الاخلاق " و هو ما دق لنا ناقوس الخطر ، ولذلك تري الباحثة ظهورذلك الخطر من خلال :

1- تجاهل تقديم مساعدات للدول الفقيرة في ظل التخبط الصحي و الغذائي الذي يشهده العالم اليوم بكافة مؤسساته.

2- ظهور نظام أجتماعي مؤيدا و داعما للأفكار العنصرية القائمة علي أساس اللون و الجنس ممجدا الشذوذ و العنف و الظلم .

3- نظام سياسي مؤسس علي مبدأ القوة و المصلحة (البقاء للاقوي) مهمشا معاني سامية مثل العدالة أو الاخلاق الانسانية العالمية .

4- نظام أقتصادي مرتكز علي مبادئ غير عادلة و غير أخلاقية ترتب عليها أنتشار الفقر و المرض و الجهل .

و لذلك سوف تقوم الباحثة بتتبع بعض المحاولات التي قام بها الفلاسفة في العصر القديم والوسيط للكشف عن الأسس والمعايير التي ينبغي أن تقوم عليها الاخلاق الكونية .

أولا : الاخلاق الكوزموبوليتانية في العصر الهلينستي

كان و مازال مطلب تأسيس " مشروع أخلاق كونية " عند الفلاسفة و رجال الدين و السياسيين و المصلحين الاجتماعيين يتردد عبر العصور ..

ولكن السؤال هنا : هل أستطاعوا تحقيق و تطبيق هذا المشروع علي أرض الواقع ؟ أم أنها كانت مجرد شعارات و مُثل، ينادي بها و ليس لها مدلولا واقعيا ؟ و للإجابة عن هذا التساؤل أرادت الباحثة أولا تقديم نظرة تأملية و طرح حقيقي دقيق للمحاولات التي قامت منذ الالاف السنين لبناء و تأسيس الأخلاق الكونية ، و ذلك عبر طرح عدد من التساؤلات التالية :-هل أستطاعت الاخلاق الكونية بالفعل أن تكون متماشية مع السياق الثقافي و الاجتماعي للعصر الذي ظهرت فيه ؟ و هل بالفعل نجح أنصارها في تطبيقها علي أرض الواقع أم أنهم أخفقوا في محاولتهم هذه ؟و من هنا نبدأ محاولة الاجابة مع أولي المدارس الفلسفية التي نادت بقيام فكرة الجامعة الانسانية العالمية ، و أحلال مفهوم

الانسان محل مفهوم (المواطن) ، و هي المدرسة الرواقية التي ظهرت و ترعرعت في العصر الهلينستي.([iii])

تعتبر المدرسة الرواقية أكبر أنجاز عقلي في الثقافة الهلينستية و الرومانية، حيث طرحت إطارا أخلاقيا أزدهر فيه التأمل الميتافيزيقي و العلم الطبيعي و علم النفس و الفكر الاجتماعي بصورة تجعل منها نمطا فلسفيا متميزا في ذلك العصر .([iv]) كما أحتلت الأخلاق في المذهب الرواقي أهمية عظمي لم يظفر بمثلها أي بحث من البحوث الأخري ، حتي أن الرواقية تحولت في العصر الروماني إلي مذهب في الأخلاق.([v]) فأستندت التعاليم الاخلاقية للرواقيين علي مبدأين سبق أن وردا في الفيزياء عندهم ، أولا : ان الكون محكوم بقوانين مطلقة لا يسمح بأي أستثناءات ، ثانيا : جوهر الانسان هو العقل و كلاهما يتلخصان في الشعار الرواقي الشهير (عش وفق الطبيعة)([vi]). و لذلك تصور الرواقيون الطبيعة الخارجية علي غرار الطبيعة الداخلية أو الذاتية . و لهذا كان المثل الاعلي في الاخلاق لديهم هو الحياة وفقا للطبيعة ، و هذه هي القاعدة الرئيسية التي تلخص مذهبهم . فمن ناحية الاخلاق نجد أن الاخلاق الرواقية أخلاق طبيعية خالصة ، بمعني أنها كانت تري أن السير وفقا للطبيعة هو الخير الأسمي و الغاية العليا في الاخلاق ، ولذلك كان الرواقيون يتصورون الطبيعة كلها كائنا حيا يسمي بأسم "بنيما".([vii]) و السؤال الان : ما هي الأفكار الاخلاقية العامة التي أستندت عليها المدرسة الرواقية في تأسيس مذهبها الخاص بها ؟ فمن خلال ما سبق يمكننا الزعم بأن الافكار الاخلاقية التي تدور في فلك المدرسة الرواقية تتمثل في مفاهيم عدة مثل (السعادة–الخير–الفضيلة–العدالة–الواجب) و من ثم نستدعي إلي تناول تلك المفاهيم الاخلاقية بشئ من التفصيل .

فمذهب السعادة عند الرواقيون قد أعلي من شأن قيم أخري لا علاقة لها بمعاني اللذة و الخيرات السارة ، فتحدث مذهبهم عن ملكوت أسمي هو ملكوت اللوغوس بوصفه قانون العالم و روحه ، فالخير الأعظم هو الاتحاد باللوغوس في أحضان العقل الكلي و إعلاء من شأن العقل الانساني بكل ما يحمله من معاني القوة و الحرية و الاجلال بينما يحط من قدر الانفعالات البشرية . و في الحقيقة أن محور الأرتكاز في فلسفة الرواقيين الأخلاقية هو التوحيد بين الفضيلة و السعادة بأعتبار أن القيمة العليا في الحياة البشرية بأكملها إنما هي السلوك الخير ، و أن السعادة لا تخرج من كونها مجرد وعي أو شعور بهذا السلوك الخير و بهذا قد ربطوا الفضيلة بالسعادة و الرزيلة بالشقاء([viii])

فالطبيعة هي " اللوغوس " و اللوغوس هو قانون الكون . و من ثم فالفضيلة هي العلم بما تقتضيه الطبيعة . و معني ذلك أن الشخص الفاضل عند الرواقيين هو الذي يعلم طبيعة الاشياء فيسلك وفقا لها . والشخص الغير الفاضل هو الذي لا يعلم هذه الطبيعة و لكنه لا يملك سوي أن يسير بحسب ما تقتضيه هذه الطبيعة . الفارق إذن بين الشخص الفاضل والشخص الغير فاضل هو في الموقف النفسي الذي يتخذه المرء بالنسبة إلي هذه الطبيعة . فلا مجال أذن للحرية و الاختيار . و علي هذا أنتهت الرواقية إلي أن الافعال الانسانية متصفة بصفة التساوي أو الحياد ، و هكذا نجدها ترد الأخلاق إلي الكسمولوجيا .(ix)

وبهذا ننتهي إلي أن الرواقية أحتقرت الأهواء و اللذات و أعتبرتها مخالفة لمنطق العقل ، أي مخالفة لطبيعةالانسان ، و طالبوا بأستئصالها و أبادتها ما أمكن ذلك ، و هذا هو " اباثيا Abathya" الرواقية ، فالحياة في نظرهم حرب يشنها العقل ضد الشهوات . و بذلك تنتهي الاخلاق الرواقية إلي مذهب موغل في الزهد و التقشف تحقيقا لنوع من السعادة السلبية التي أعتبرتها الغاية الاسمي للحياة.([x])

و في الحقيقة نجد انه في الوقت الذي ذهب فيه الابيقوريون إلي أن الخير هو ما يشبع رغباتنا البشرية و في مقدمتها الرغبة في اللذة ، خالف الرواقيون ذلك و ذهبوا إلي أن العقل هو الخير فنجدهم يقررون أن السعادة هي شعورنا بأننا نمارس وظائفنا في أنسجام تام مع قوانين الطبيعة([xi])

فلكل أنسان عند الرواقيين وظيفة يقوم بها تتناسب مع خطة الكسموس (العالم) ، كما لاحظوا أن التقدم الأخلاقي يكون في تعلم هذه الحقيقة، ويتضمن هذا التقدم علي أهتمام الفرد بنفسه بالاضافة إلي أهتمامه بالأخرين و البشرية جمعاء، وبالتالي نستنتج أن هذا طريق الرواقيين للعدالة التي وفقا لرؤيتهم يتمتع بها الحكيم و تتوافق مع غاية الكون.([xii])

بالأضافة إلي ذلك ، أتخذ مفهوم الواجب عند الرواقيين مكانا أساسيا في الاخلاق بوصفه أمرا ملائما للقواعد الاخلاقية. و تعد فكرة الواجب التي أدخلها الرواقيون فكرة جديدة في التفكير الاخلاقي اليوناني ، و قد أدت هذه الفكرة إلي تحويل الاخلاق من مبحث يتركز حول الخير إلي مبحث يتركز حول الواجب ، و في هذه الفكرة تعد الفضيلة بمثابة إطاعة للقانون ، و الحياة الخيرة التي ينبغي علي كل حكيم أن يسعي إلي أن يحياها هي تلك التي يتحدد بها واجب الانسان علي أساس قانون الطبيعة أو النظام العقلي للكون أو العقل الكلي بحسب المفهوم الرواقي .([xiii])

ولا يخفي علينا أن نقوم بذكر أشهر فلاسفة المدرسة الرواقية الذين سعوا لتأكيد فكرة المواطنة العالمية من خلال كتاباتهم و هم سينكا Seneca ، أبكتيتوس Epictetus([xiv]) فمذهب سينكا في الاخلاق مطبوع بطابع الانتقائية " الاكلكتزم Eclecticism " أي الملاءمة بين وجهات النظر المختلفة . و تمثل هذه أهم قواعد الاخلاق لديه: لننصرف عن شئون الدنيا ، لانها مثيرة للشهوات . و لكن لننصرف عنها في بساطة و من غير ضجة لأن فضل المجاهد لا يقاس بما

يبدو عليه من تجهم الملامح و لا بما يتشدق به من كلمات في ذم الترف و النعيم : فالطبيعة تنفر من الاسراف .([xv])

و قد خفف سينكا من حدة الاخلاق الرواقية القديمة : فنجده يؤكد علي التعامل بالرحمة و الاخاء ، و يقول : لما كان الناس إخوة فقد لزم عليهم أن يتعاونوا جميعا علي البر و في السراء و الضراء و حين البأس ([xvi]). و هو يري من الواجب إطعام المسكين ، و انتشال الغريق ، و إغاثة الملهوف و هداية الضال ،ذلك عنده هو الواجب.

و يتكلم سينكا عن الرقيق بنغمة مشبعة بروح العطف و الرغبة في إنصاف مجموعة من الناس المغلوبة علي أمرها . و سينكا في هذه الشئون كلها كان من أكثر من ساهموا في مزج الرواقية المتشددة بنظرات إنسانية رقيقة .([xvii])، و لكنه رغم تلك الاخوة العالمية التي يقول بها ، لم يقل بألغاء نظام الرق . و يبدو أن الرواقيين كانوا ينظرون إلي الرق علي أنه نظام طبيعي و أمر مقدر لا مفر منه .([xviii])

و ليس هدف الفلسفة عند أبكتيتوس هو البحث عن العلل الأولي ، و لكن غاية الفلسفة أصلاح الأخلاق و تزكية الأرواح ، التي هي في نظره ، قبس من نور الله . فأصبحت فلسفة أبكتيتوس مثالا حيا تتجلي فيه روح الرواقية الرومانية. فالاخلاق عند إبكتيتوس ، هي أن نقضي في نفوسنا علي كل رغبة ، لان من أراد أن يسلك سبيل الحكمة فعليه أولا أن ينزع من نفسه كل أنفعال مما ينشأ عن الرغبات و المخاوف ، و أن يعود إلي حال الهدوء و الاطمئنان لا يكدر صفوه شئ .([xix])

و إذا كانت هذه الافكار الاخلاقية العامة للرواقية ، فما هو الأساس" الأبستمولوجي" التي أستندت عليه الرواقية في تحليلها لمفاهيم مثل الفضيلة و الخير ؟

و للإجابة عن هذا التساؤل نجدها تنحصر في مفاهيم مثل الكلي و الضرورة و المثل .ففكرة الضرورة هي الفكرة المحورية في الأخلاق الرواقية . فالفعل الخلقي يتحقق في عالم الطبيعة ، و السؤال أذن : هل ثمة أتفاق بين الفعل الخلقي و الطبيعة ؟ و إذا كان هناك فهل ثمة مكان للحرية ؟. فالطبيعة مادية التكوين ليس فيها خلاء . و المادة متجزئة بالفعل إلي غير نهاية مفتقرة إلي ما يردها إلي الوحدة ، و تتحقق لها الوحدة بفعل النفس الحارة ، و هو نفس عاقلة أو " لوغوس ".([xx])فالانسان عند الرواقيين ممثل يؤدي الدور الذي حدده له القدر فقد يكون فيه عظيما أو فقيرا مريضا أو سليما فليؤدي الدور و ليقبله في كل الاحوال فعلينا أن نحسن أداء الدور أما أختياره فليس من شأننا ، لذلك أنتهت الرواقية إلي التسليم بالقدر و إلي السلبية المطلقة التي ضاقت معها حرية أختيار الانسان و ايمانه بقدرته علي أختيار مصيره أو تغييره ووقعت في خطأ البحث عن الخير و السعادة في طبيعة الفرد منعزلا عن ظروفه و بيئته ، و أرجعتها إلي أرادة عليا و قدر لا يمكن تعديله أو تغييره.([xxi])

و الرواقية ليست مذهبا فلسفيا فحسب، و إنما هي كذلك و قبل كل شئ أخلاق و دين . و لعل ما يميز الرواقية هو نزعتها الارادية ، التي جعلتها تطرح " المثالية " أطراحا دون تردد أو أحجام ؛ فالمثل أو الكليات عندها ليس لها حقيقة في الوجود ، كحالها عند أفلاطون ، و لا هي موجودة في الاشياء كحالها عند أرسطو ، أنما هي مجردات ذهنية ، و لا يقابلها شئ في عالم الواقع العيني.([xxii])و السؤال المهم الان :كيف أنعكس هذا الاساس الابستمولوجي علي مفهوم الرواقيةعن فكرة "المواطن العالمي Globa citizen " ؟فالناس في نظر الرواقيين طائفتان متمايزتان : طائفة الحكماء الذين لهم جميع الكمالات ، و طائفة السفهاء الذين لهم جميع النقائص . و هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يفرق بين البشر . و فيما ماعدا ذلك من فروق كأختلاف الجنسيات و اللغات و الأوطان و الأديان و ما إليها ، فلا قيمة لها عندهم ولا يؤخذ بها

: اذ الناس جميعا طبيعتهم واحدة ، و أصلهم واحد ، و هم من جهه عقولهم يشتركون جميعا في نظام واحد ، و ينتسبون إلي إله واحد ، و يؤلفون دولة واحدة ، حدودها الكون كله ، و رئيسها الله ، و قوانينها قوانين الطبيعة . ([xxiii])

فالرواقيون ليس سوي كلبيين أقل تماسكا و لكن الفكرة التي يستطيعون أن يزعموا أنها من أختراعهم ، هي فكرة (المواطنة العالميةGlobal citizenship)و قد أستمدوا هذه الفكرة من مصدرين :أولا : الكون واحد و هو ينطلق من الله ، و هو منظم بقانون واحد و يشكل نسقا واحدا .ثانيا : مهما يختلف الناس في الامور غير الجوهرية فأنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية و في عقلهم و من ثم فأن الناس جميعا مخلوقات عقلية و يجب أن يكونوا دولة واحدة لأن أنقسام البشرية إلي دول متحاربة مسألة لا عقلية و بلا معني ، و الحكيم ليس مواطنا لهذه الدولة أو تلك بل أنه "مواطن العالم".([xxiv])لقد حاول الرواقيين القضاء علي العصبية ، و خطوا في هذا السبيل خطوات جديدة ، فأحلوا (الانسان) محل (المواطن) بمعني أنهم مالوا إلي أعتبار الانسانية أسرة واحدة أعضاؤها أفراد البشر بصفة عامة أيا كانت ألسنتهم و بلادهم .

و في النهاية نستنتج أن تلك هي " الجامعه الانسانيةHumanity University " التي نادي بها الرواقيين . و هي وحدة عالمية تقول بوجود رابطة أخلاقية وثيقة بين الالهة و بين الانسان . ذلك لان الرواقيين أعتقدوا أن روح الانسان لا تختلف في جوهرها عن " عقل الكون " و أن الالهة و الناس أجزاء من هذا العقل الكوني . و لما كان الانسان مخلوقا قد أعدته الطبيعة للاجتماع و العمران ، فقد وجب علي الناس أن يكونوا إخوانا ، و أن يؤلفوا فيما بينهم ما يسميه الرواقيون " مملكة العقل " و هي مملكة تشتمل علي الانسانية جمعاء ، بأعتبار أنهم أوتوا نصيبا واحدا من العقل و أنهم مهيأون للفضيلة .([xxv])

و من ثم يطرح السؤال نفسه الان :ما مدي تأثير المفاهيم الاخلاقية و الابستمولوجية للفلسفة الرواقية علي الانساق الفلسفية التالية ؟ و من جهة أخري هل يعتبر هذا التأثير تأثيرا أصيلا أم أنه تأثيرا ثانويا لا أثر له؟

ثانيا: البعد الأخلاقي و الفلسفة المسيحية:

و لما أستقرت الديانة المسيحية أستعانت بالفلسفة الرواقية ما يتلائم مع روح تعاليمها ،([xxvi]) و كان أكثر أقتباسها من أنظار الرواقيين الأخلاقيين ، فما جاء القرن الثالث الميلادي حتي كانت أغلب المذاهب المسيحية تعتنق تعاليم الرواقية .([xxvii])

ينظر الرواقيون إلي أن كل البشر أخوة و مواطنون في عالم واحد و بالمقارنة يري البعض ان أراء الرواقيون هي أقرب إلي التصور الاسلامي من اراء الابيقوريين .([xxviii]) و كذلك تري الباحثة انه حتي اراء المعتزلة تشبه إلي حد كبير أراء الرواقيين ، و بالتالي يمكننا القول أن جميعها كانت اراء رواقية حتي و ان كانت في ثوب أسلامي .

كما أثرت الرواقية في القرن السابع عشر علي الفلاسفة و رجال الدين مثل ما نراه في مذهب سبينوزا(1632– 1677) و "بوسويه" (1627–1704) و ما كتب عن النفحات الرواقية ، و "ليبنتز"(1646–1716) الذي ذكر الرواقيون في كتابه العدالة الالهية ، ثم وافقهم في اراء فلسفية كثيرة : كالتفاؤل و الغائية و الحرية و المجهود و ما إليها.

و تأثر "كانط" بالرواقية أيضا في كتابه " دعائم ميتافيزيقا الاخلاق" الذي بني فيه الفيلسوف الالماني مذهبه في الاخلاق علي أسس الارادة المحضة التي تعارض مبادئ الاخلاق النفسية أو أخلاق العواطف أشد معارضة. ([xxix])

و لهذا تري الباحثة أنه ليس هناك أدني شك بأن جميع الدعاوي التي نادت بها الفلسفة الرواقية هي دعاوي إنسانية شاملة ، فهي أول من نادت بقيام فكرة الجامعة الانسانية

العالمية التي تنص علي أحترام الاخرين و العيش في سلام (وفقا للطبيعة) مستبعدة تماما كافة الحروب و الصراعات ، و نشر مبادئ العدالة و الحقوق و التسامح و الاخاء و المساواة بين جميع الناس .

و لكن السؤال هنا :هل أستطاعت الرواقية أن تحقق فلسفتها علي أرض الواقع وأن تطبق مفهوم" الجامعة الانسانية " أم أنها أخفقت في ذلك ؟

و للاجابة عن هذا التساؤل تري الباحثة أن الفلسفة الرواقية لم تستطع تحقيق فلسفتها بقدر الامكان و ذلك لانها تنطوي علي تناقض داخلي يمنع أتساقها بين مستوي الطرح النظري و التطبيقي ، فعلي سبيل المثال فكيف ينادي سينكا بضرورة عتق العبيد و تحريرهم من العبودية و مذهبة الرواقي يقوم علي مبدأ الطبيعة الجبرية .

أفليس وجود الحرية يعني قيام الفرد بكل ما يرغب بأرادته الحرة لانه يتمتع بأرادة كلية كاملة تمكنه من القيام بذلك ؟ فكيف يستطيع أن يختار الانسان و هو مقيد مجبر علي جميع أفعاله و تصرفاته في أطار فكرة قوانين الكون و التسليم الكامل المطلق للعقل الكوني ؟

و لنطرح السؤال بمعني أخر :هل أستطاعت الرواقية أن تتماشي مع جميع المتغيرات الثقافية و الاجتماعية التي نشأت فيها أم أن ثمة عوائق حالت دون تحقيق فلسفتها ؟

و في الحقيقة إذا قمنا بتمثيل العلاقة بين كلا من (الثابت) الذي يمثل السياق الثقافي و الاجتماعي ، و (المتغير) الذي يمثل النسق الاخلاقي ، لا نجدها علاقة تأثير متبادل ، بل تمثل علاقة تأثير من أتجاه واحد فقط .

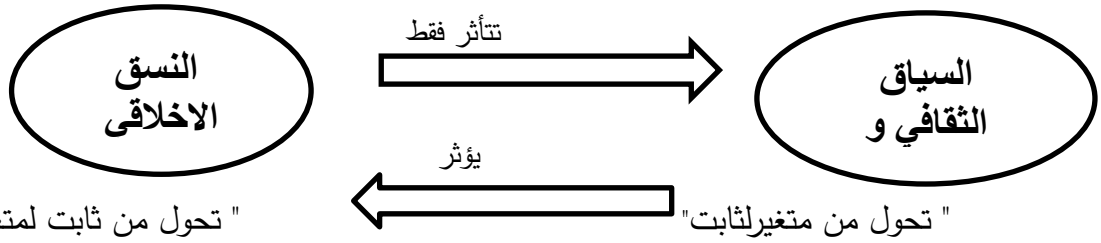

(شكل1-1)

و بالنظر إلي الشكل السابق نجد أن " السياق الثقافي و الاجتماعي " تحول من كونه متغير إلي كونه ثابت ، و تحولت الاخلاق من كونها ثابتة إلي كونها متغيرة متأثرة بتطور المجتمعات ، و بالتالي السياق الثقافي و الاجتماعي سيلعب دورا انتقائيا في أختيار القيم الاخلاقية المناسبة لظروف العصر .

و من خلال ما سبق تري الباحثة وجود العديد من الاضطرابات الداخلية بداخل النسق الاخلاقي للرواقية مما يؤدي إلي عدم أتساق داخلي بين مكونات النسق و هذا بدوره يؤدي إلي صعوبة تطبيقه واقعيا .كما نري أيضا عجز الفلسفة الرواقية في الهبوط من الكلي الثابت "المثل" إلي الجزئي المتغير " الواقع " و هذا ما أدي إلي عدم أتساق المذهب لديهم .و في النهاية يمكننا الزعم بأن الاتجاه المثالي غير قادر علي التماشي مع الواقع الحقيقي ، بينما أستطاع الاتجاه التجريبي الصمود أمام المتغيرات التي تحدث في الواقع ، و أن يتلون وفقا للسياق الثقافي و الاجتماعي الذي ينشأ فيه .

و هنا يأتي السؤال :هل أستطاعت العصور اللاحقة للعصر الهيلنستي أن تقوم بحل هذه الاشكالية و تعمل علي التوفيق بين النسق الاخلاقي و السياق الثقافي و الاجتماعي ؟ أم أنها عجزت عن تحقيق ذلك ؟

ثالثا : الاخلاق الكوزموبوليتانية و البعد الانساني في الاديان السماوية

تعتبر الاخلاق عنوان الشعوب كما انها أساس الحضارة ووسيلة لتعامل البشر مع بعضهم البعض ، و لذلك حثت جميع الاديان علي أتباعها ، كما أن هناك العديد من الايات التي تؤكد علي أهمية أتباع الاخلاق في حياة البشر و فيما يخص الاخلاق في العصور الوسطي سنقدم بعض النصوص من الديانتين (المسيحية – الاسلام) لتأكيد ذلك.

ولكن السؤال هنا : كيف أثبتت الديانات السماوية أهمية و دور الاخلاق في حياة البشر ؟ و إلي أي مدي أستطاعت أن تؤثر في أتباعها ؟ و هل أستطاعت أن تقدم نموذجا لتدعيم الاخلاق الكونية؟

و للاجابة عن هذا التساؤل سوف نقوم بذكر بعض النصوص الدينية لكلا من الديانتين " المسيحية و الاسلام " لأبراز مكانة الاخلاق في النسق الديني .و لنبدأ أولا مع الديانة المسيحية و التي أعطت أهمية كبري للقيم الاخلاقية فنجدها تتحدث عن منظومة اخلاقية متكاملة تحوي بداخلها علي (المحبة و التسامح) و غيرها من القيم الاخلاقية التي يجب علي كل مؤمن أن يقتدي بها .فالمسيحية علم و فن ، نظر و تطبيق ، فالعلم لا ينفصل عن العمل ، كما أنها ديانة عملية وُجدت بداخلها النصوص الدينية التي تدعم أقوالها .

فعن التسامح يقول الكتاب المقدس : {وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ رساله بولس الرسول لاهل أفسس 32:4 }.

" {و عن المحبة فيقول : أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا ، لأن المحبة هي من الله يو 17:4}

و لكن هل الاخلاق في المسيحية تمثل دعوة عالمية أم انها مقصورة فقط علي فئة من البشر بعيدا عن الاخر المغاير دينيا ؟و لنجد الرد في الكتاب المقد"(الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ

إِيَّاهَا، لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيضًا رو24:9) . كذلك أيضا(وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلًا بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ." (مر 13: 10).و بالتالي فالايات السابقة توضح لنا أن المسيحية كانت و مازالت دعوي عالمية تحمل في طياتها التسامح و المحبة و القيم الاخلاقية، و لننتقل ثانية إلي الاسلام و الذي يعتبر أن غاية الدين هو تحقيق القيم الاخلاقية فالرسول (ص) جاء برسالة كان مضمونها قائم علي الاساس الاخلاقي فيقول القران الكريم عن التسامح قال الله تعالي: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .سورة الاعراف 199}.

و ايضا عن المحبة قال تعالى-: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .سورة الروم 21 } .و اذا تساءلنا مرة أخري هل يا تُري الدعوة الاخلاقية الاسلامية كانت دعوة عالمية أم انها أقتصرت فقط علي اتباعها ؟

نجد الرد في القران الكريم :قال الله تعالي: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .سورة الانبياء 107} صدق الله العظيم . كذلك أيضا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .سورة الحجرات 13 } صدق الله العظيم

و في النهاية نستنتج أن الديانات السماوية هي ديانات دعوتها عالمية جاءت ليحل السلام و المحبة و الخير و لتتحقق الاخلاق للعالم أجمع .

و لذلك وجب علينا أن نعرض نموذج لمفهوم الاخلاق الكوزموبوليتانية عند فيلسوف العصور الوسطي لأبراز مكانة الاخلاق في أنساقه الفكرية و مثال ذلك القديس (أوريليوس أوغسطين 354-430 م) و الذي يجسد الاخلاق المسيحية في فلسفته ،

لنري هل أستطاع المفكرون و الفلاسفة المسيحيون أن يعكسوا هذه التصورات الكلية و القيم الكونية المستمدة من الدين و تطبيقها علي الواقع المعاش؟

أن المدينة الفاضلة هي حلم الإنسانية و البشرية جمعاء ، فقد حاول الفلاسفة علي مر العصور أقامة المدينة المثالية ،و التي أطلق عليها البعض " المدينة الفاضلة " مثل الفارابي ، و أطلق عليها البعض الاخر " مدينة الله City of God" ([xxx])مثل القديس أوغسطين ، و علي أي حال فأن هؤلاء الفلاسفة كانوا يرسمون في مخيلتهم مدينة تخلو من الصراعات والحروب و الدمار ، كما تخلو من التمييزات العنصرية التي تقوم بناء علي(الجنس ، اللون ، الدين) كما حاولوا تشييد مدينة يعم فيها السلام و الرخاء و السعادة ، وتحقيق التعايش مع الاخر و الالتزام بحقوق كل فرد وواجباته .

و من هنا رأت الباحثة ضرورة توضيح ما المقصود بفكرة المدينة الفاضلة عند (القديس أوغسطين) لبيان مدي تأثير أفكاره و نظرياته، و هل بالفعل أستطاع تطبيق هذه الافكار واقعيا أم وجد صعوبة في تحقيق هذا المشروع ؟

رابعا: القديس أوغسطين والاخلاق الكوزموبوليتانية

لقد بدأ أوغسطين في تفهم المسيحية علي ضوء ما اهتدي اليه من فلسفة ، و في رأي الباحثة أن الافلاطونية هي التي قادته إلي المسيحية ، وفي الحقيقة نجد أن أوغسطين قد أمن بالمسيحية بناء علي علامات و أدلة ، كما أثرت فيه رسائل افلوطين و أفادته في حل مشكلات عقلية كانت تحول بينه و بين فهم المسيحية كما يجب أن تفهم(.[xxxi])

و هنا يطرح السؤال نفسه:ما مدي أنعكاس أفكار أوغسطين الاخلاقية علي تفكيره في بناء المدينة الفاضلة أو كما أطلق عليها مدينة الله أو مدينة المسيح ؟ و للإجابة عن هذا

التساؤل يجب طرح أهم الافكار الاخلاقية التي أعتمد عليها أوغسطين و التي تتمثل في (السعادة – الخير – العدل)

فالمسائل الأخلاقية عند أوغسطين ترجع كلها إلي مشكلة الخير و الشر . فالخير هو السير وفقا للقانون الالهي أو الطبيعي ، أما الشر فهو مخالفة لهذا القانون . و من هنا نستنتج الحقيقة الوجودية للخير و الشر . فالخير شئ بالفعل ، أما الشر فلا يمكن أن يعتبر وجودا حقيقيا ، بل هو سلب محض ، أي أن الشر هو سلب للخير اي سلب للنظام بأكمله . و لهذا فأن عله الخير هي علة فاعلية ، بينما علة الشر هي علة نقص ، بمعني أن الخير شئ أيجابي وجودي ، أما الشر فهو نقصان أو عدم . و لهذا يمكن تسمية الخير عند أوغسطين بأسم الفعل ، أما الشر لا يمكن أن يوصف من ناحية العلية الا بأنه نقص و عدم.و هنا نري أن أوغسطين يجعل هذا القانون الاخلاقي متسقا مع طبيعة القوانين الرياضية ، فهو حقيقة أزلية أبدية مثل الحقائق الرياضية . و هذا القانون ، لو نظرنا في تفصيلاته ، وجدنا أنه الموجود في الكون .

اما الامر فهو الله . و لهذا يظهر هذا القانون بأعتباره أمرا أو نهيا " أمرا بأعتباره يلزم السير تبعا للنظام ، و نهيا بأعتباره مخالفا لذلك. ([xxxii])

و السؤال هنا :كيف أثرت حياة أوغسطين الدينية علي فكره الاخلاقي ؟ و إلي أي مدي أستطاع صياغة قوانينه الاخلاقية في ضوء فكرته عن الله في المسيحية ؟

نجد أوغسطين يمضي في البحث عن الله لكي يبين لنا ان الله لا يختلط بالطبيعة ، و أنه لا سبيل لنا إلي معرفته إلا إذا تجاوزنا الحياة العضوية و علونا علي الطبيعة المحسوسة ، و عند تساؤله عن الملكة التي نستطيع عن طريقها أن نعرف الله ، فنراه يتوقف عند ملكة (الذاكرة) و السر أنه يريد ان يبين لنا أننا ما كنا لنبحث عن الله لو لم نكن قد

وجدناه من قبل ، فالله موجود في باطن ذاكرتنا ، و هو موجود علي هيئة فكرة رئيسية هامه من أفكار الانسان ، إلا و هي " السعادة " أو " النزوع إلي السعادة " .و من منا لا يتمني السعادة ، فالجميع يعمل جاهدا في سبيل الوصول اليها ، و لكن يستحيل لنا في نظر أوغسطين أن نظفر بالسعادة الا في الله ، فالسعادة هي تلك الغبطة التي نشعربها في نفوسنا حين نصل إلي "الحق" ، و ما " الحق " الا الله نفسه . و إذن فأن القديس أوغسطين حينما يؤكد ان الله كامن في " الذاكرة " إنما يعني أن الله هو ذلك " الحق " أو تلك " الحقيقة "([xxxiii])فيوضح أوغسطين للجميع بإن عليهم أن يقبلوا أن الانسان السعيد هو من يتمتع بالله ،فأفلاطون كان يضع الخير الاسمي في أن يعيش الانسان بموجب الفضيلة و يري أن هذه الحياة لا يمكن أن تتحقق الا في الانسان الذي يعرف الله و يهتدي به ، و ذلك هو الينبوع الوحيد لسعادته و لهذا يقول أن الفلسفة تعني محبة الله ذي الطبيعة الروحية ، و أن الفيلسوف لا يجد السعادة الا اذا بدأ يتمتع بالله .([xxxiv])و عليه فأن إلهنا يصنع السعادة و يوزعها ، فهو الاله الواحد الحقيقي ، يهب ممالك الارض الصالحين و الاشرار ، لا عفوا ولا عشوائيا ، لانه الله و ليس الحظ ، يهبها حسب نظام الاشياء و الاوقات الذي نجهله (.[xxxv])

و يختتم أوغسطين بوصف المشكلة الاخلاقيه لديه بأنها تشابه في حلها تماما جميع المشاكل الاخري ، من حيث أتصالها بالله أتصالا وثيقا . فكما أن الله مصدر الحقيقة ، فهو أيضا مصدر الاخلاق . و علي هذا يقول إن الحياة السعيدة هي النعيم في الله . فالسعادة و الحقيقة شيئان مترادفان و الذي يطلب الواحد يطلب الاخر . و ذلك لان مصدرهما واحد عند أوغسطين هو " الله "([xxxvi]) . كما درس مسألة الخير الأسمي و رأي أن به ترتبط كل أفعالنا و إليه نسعي ، حتي إذا حصلنا عليه سعدنا ، فهو الهدف

المنشود ، لان هذا الخير أصل كل سعادة ، أناس يجعلونه مرتبطا بالجسد و أخرون بالروح و غيرهم بالروح و الجسد معا ، أما الذين أضافوا نوعا ثالثا من الخيور الخارجية كالشرف و المجد و الثورات فلم يرفعوها إلي درجة الخير النهائي المرجو لأجل ذاته ، بل يسعون اليها في سبيل خير أخير يجعلها خيرا للصالحين و شرا للاشرار .([xxxvii])

و السؤال الاهم هنا :كيف أنعكس الواقع الثقافي و الاجتماعي علي فكر أوغسطين ؟ و هل لعب دورا في تأليف أهم كتبه و هو " مدينة الله" ؟ و ما هي الدوافع الخارجية السياسية التي عملت علي بلورة فكره فيما يخص التفرقة بين مدينة الله و مدينة البشر)؟؟

لاشك أن الظروف الاجتماعية التي عاش خلالها القديس أوغسطين لعبت دورا في تشكيل فكره ففي عام 410 ميلاديا تم نهب روما علي أيدي القوط و هم قبائل جرمانية شرقية و كان لهم تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي و الثقافي و الديني ، و أنتشر أعتقاد بأن نهب المدينة كان عقاب من ألهه الرومان لتركهم الدين الروماني القديم و أتباعهم المسيحية الكاثوليكية ، و من هنا ظهر مؤلف أوغسطين " مدينة الله " ليزعم فيه بأنه حتي و لو كانت المسيحية سببا في أنهيار روما إلا أنها كانت سببا في نجاحها و أزدهارها .كما أكد أنه و بالرغم من زوال و انهيار الحكم البشري للرومان إلا أن مدينة الله هي التي ستنتصر في النهاية ، و من هنا رأي أن تاريخ البشرية وليد الصراع بين مجتمعين :المجتمع الاول : هو المجتمع الدنيوي الذي تسيطر عليه قوي الشر الناجم عن غرائز الانسان الجسدية البحتة ، و من مظاهرها الجشع و حب التملك .المجتمع الثاني : هو المجتمع الديني ، أو مدينة الله ، و تسيطر عليها قوي الخير المستمد من الروح ، من مظاهره حب السلام ،و العمل علي الخلاص الروحي ، و هو يطلق علي المجتمع الاول اسم " مملكة الشيطان " و الثاني اسم " مملكة المسيح " و يري ان تاريخ البشرية كلها في

صراع دائم بين هاتين المملكتين ، ولا بد في النهاية من انتصار مدينة الله لانها هي الدائمة ولا يمكن ان يوجد سلام الا في ظلها.([xxxviii])

فمن خلال ما سبق نجد أن أوغسطين قد وعي تماما بأهمية الدولة و دورها في تحقيق السعادة لمواطنيها و لكن ، ما هي المواصفات و الشروط التي وضعها أوغسطين لهذه الدولة ؟

و للأجابة عن هذا التساؤل دعونا نتطرق أولا لمفهوم الدولة و أهميتها عند أوغسطين ، و من ثم نوضح فكرته عن "مدينة الله " التي رأي وجوب قيامها ؟ فيتحدث أوغسطين عن الدولة ، فيقول أن الدولة لا تنشأ عن عقد ، و انما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة البشرية ، و لهذا فالدولة ضرورية ، و ليست شيئا عرضيا ([xxxix])

كما أن أوغسطين لم يري مثل أفلاطون و أرسطو ، أن مهنة السياسة منفصله عن القضايا الاخلاقية ، رغم انه لم يعتقد أن العالم العلماني قادر علي إقامه مجتمع عادل بحق .لقد أدرك أن الحكومة أكثر فعالية في قمع الرزائل من التشجيع علي الفضائل ، فالحكام مسئوون عن توفير الامن و النظام العام و الراحة و الرخاء. لكن هذه المسئوليات لم تكن تخلو من مسئولية عن الفضيلة المدنية . و اذا كان الحاكم او القاضي مسيحيا ، فعليه واجب ديني و عام الا و هو دعم الخير و الحق الذي هو معني بنشرهما ، و من هنا نستنتج أن الحكومة و القانون كانا ضروريان عند القديس أوغسطين .([xl])

و بسؤال أوغسطين ما هو المثل الاعلي للدولة ؟ فيجيب أوغسطين أنه المثل المسيحي . و هذه الدولة التي يتصورها ، هي التي تستمد سلطتها من الله مباشرة ، و تكون جامعة للطابع العلماني ، و الطابع الديني معا . و معني هذا أن هذه الدولة سيكون من مهمتها الاساسية ، ما يتصل بالحياة الدينية ، أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة علي

الارض و تحقيق السعادة في الاخره بالنسبة لأفراد المجتمع ، و من هنا نستطيع أن نحدد العلاقة بين الدولة و الكنيسة .

فالاخيرة تشرف علي الاولي من أجل توجيهها إلي الحياة الاخرة ، و الدولة تساعد الكنيسة علي تحقيق أهدافها، و يظهر أن النصيب الأكبر هنا هو للكنيسة ، و لكن يلاحظ مع ذلك أن أوغسطين لم يشأ الفصل بينهما ، بل جعلهما مرتبطين تمام الارتباط ، و رأي أن من هذا الارتباط الوثيق يمكن أن يقوم السلام علي الارض .([xli])

و إذا عدنا مرة أخري لنتساءل هل " مدينة الله" ([xlii]) بالفعل تحقق السعادة للناس كما زعم أوغسطين ؟ و ما هي أوجه الشبه و الاختلاف بين مدينة الله و مدينه البشر التي وضعها أوغسطين في تصوراته؟

أما عن مدينة الله فيقرر أنها تقام من أجل سعادتنا لان الهدف من هذه المدينة سعادة الانسان ، ويتساءل هل يريد الانسان سوي أن يكون سعيدا ؟ معلقا بأن بأن سعادة الافراد مرتبطة بشعورهم بالمسئولية التي تمنحهم الحرية و تضمن لهم الزهد مبتعدة عن الجهل و الظلم . ([xliii])

يري اوغسطين أن شرط قيام العدل هو وجود الحرية([xliv])فيقرر أوغسطين بأنها تتصل بالاخلاق و يعتبر أول من أعطي للحرية معني جديدا حيث عرفها بأنها القدرة علي قول (لا) ، و معني هذا أن الحرية عنده شئ مطلق ، فيستطيع الانسان ان يرفض كل شئ ، و هذه الفكرة يقول بها بعض الفلاسفة المحدثين الذين قالوا بالمثالية ، و علي رأسهم شلنج (1775-1854) في شيخوخته .([xlv])

كما سلم أوغسطين بأن الحكومة القوية يمكنها ضمان السلام للناس و تمكينهم من العيش دون خوف من الاضطرابات الاجتماعية ، كما تعامل مع القانون الروماني –

الذي كان ملما به بأحترام شديد بأعتباره لا غني عنه لتجانس المجتمع ، ولا ينبغي علي المرء مثلا ان يجعل من نفسه قاضيا علي الناس و كأن القانون ملك يمينه ([xlvi]). و هنا و بعد الانتهاء من عرض أهم الافكار الاخلاقية التي أعتمد عليها أوغسطين في تأكيده علي ضرورة قيام " مدينة الله " نجد أن جميعها أفكارا عظيمة من شأنها أن ترفع مكانة الفرد داخل مدينته و تحقق له الشعور الدائم بالسعادة و تنص علي أقامة العدل في جميع أركان الدولة ، بالاضافة إلي أستبعاد الحروب من دائرتها و تناشد فقط بقيام و تحقيق السلام بين الدول .

و لكن السؤال الاهم هنا :هل أستطاع أوغسطين تطبيق فكرته عن " مدينة الله " أو " المدينة السماوية " علي أرض الواقع ؟ أم أنه عجز عن تحقيق ذلك ؟

لقد حاول أوغسطين بناء مجتمعا أنسانيا عالميا من خلال بناء مثالي جديد يجمع فيه بين مدينة الله و المدينة الدنيوية ، و من المعروف أن أوغسطين كتب مؤلفاته من القرن الرابع الميلادي إلي العقد الاول من القرن الخامس و كانت فترة عصيبة بسبب أنهيار و أضمحلال الحضارة اليونانية الرومانية و بزوغ الحضارة المسيحية في العصر الوسيط ، و هذا ما انعكس و ظهر في كتاباته مثل : الاعترافات ، و رسالة في الثالوث ، فضلا عن كتابه الاشهر مدينة الله ([xlvii])

مدينة الانسان مكانها:(العالم الدنيوي) تمثلها : الدولة العلمانية كيانها :جماعات وثنية	مدينة الله مكانها(العالم السماوي) تمثلها : الدولة الدينية كيانها : جماعات مسيحية

شكل رقم (2-1)

يوضح الشكل السابق علاقة الصراع التي تنشأ عند أوغسطين بين كلا من مدينة الانسان الارضية الدنيوية و مدينة الله السماوية موضحا الفوارق الاساسية بينهم من حيث مكانها و من يمثلها و كيانها الخاص بها .و لكن و بالرغم من قول القديس أوغسطين في مواضع بضرورة قيام دولة جامعة للطابع العلماني و الديني معا ، إلا أنه في مواضع أخري يعتقد أن العالم العلماني غير قادر علي أقامة مجتمع عادل بحق .

و هنا يتضح لنا أستنتاج مفاداه أن العدالة الحقيقية لن تتحقق في نظر أوغسطين الا في " مدينة الله" ، كما نجده يبرهن علي سمو السلطة الدينية علي السلطة الزمنية .و ليس غريب علي القديس أوغسطين أن نجده يعلي من شأن السلطة الدينية المتمثلة في " الكنيسة" علي حساب السلطة الدنيوية السياسية السائدة في المجتمع ، لاننا إذا نظرنا إلي السياق الاجتماعي و الثقافي في هذه الفترة نجد فيه خضوع الدولة بكافة أنظمتها إلي سلطة الكنيسة و أنتشار فكرة صكوك الغفران ..

و هنا تظهر لنا مرة أخري علاقة الثابت الذي يمثل (الدين) بالمتغير الذي يمثل (السياق الثقافي و الاجتماعي) فنجد مرة أخري، أستطاعة المتغير أن يؤثر في الثابت و يحول دون تحقيقه ، حيث يري البعض ان الاديان السماوية تتسم بالطابع المثالي و هو غير قادر احيانا أن يطبق نصوصه بدقة علي ارض الواقع

و هذا يدل علي ان السياق الثقافي و الاجتماعي المتغير يحول دون تحقيق الثابت و هو الدين.

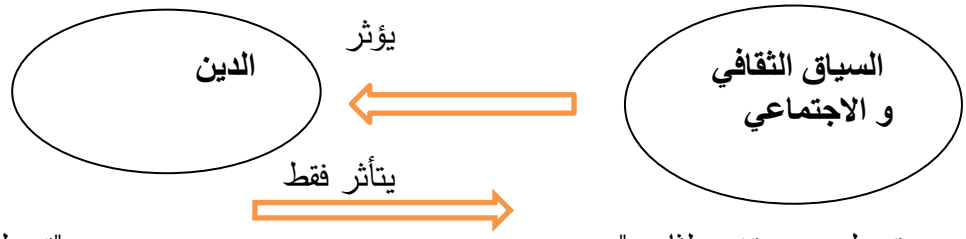

شكل رقم (3-1)

و من الشكل السابق تري الباحثة أن السياق الثقافي و الاجتماعي social context تحول من كونه متغيرا إلي كونه ثابت ، و تحول الدين من كونه ثابتا إلي كونه متغير ، متأثر بتطورات المجتمع و منطقه في التطور و بالحالة السياسية السائدة . فالسياق الثقافي و الاجتماعي بما يتضمنه من عوامل سياسية تلعب دورا أنتقائيا selective role في أختيار المناسب من النصوص الدينية و تعطيل بعضها بما يناسب الظروف السياسية و الاجتماعية ، و لا نستبعد أن الانصهار الذي حدث بين ما هو ديني و علماني جعل رجال الدين المسيحي يبحثون في رحي الفلسفة السياسية .

كما يتضح لنا أن التصور الكوزموبوليتاني للأخلاق عند أوغسطين كما طرحه في كتابه مدينة الله عجز عن أيجاد مكانة له في التطبيق واقعيا ، لان مجموعة القيم التي نادي بها وجدت صعوبات في تحقيقها واقعيا ، حيث انها انطلقت من تصورات كلية خالصة و هو ما يتنافي مع عالمنا الواقعي، و لهذا ظلت مجرد أفكار علي مستوي التنظير الفلسفي ، و ان محاولة تطبيقها علي أرض الواقع جعلها تفقد موضوعها في عالم التصورات بأعتبارها مثل كلية تحولت من كونها مستقلة ثابتة إلي ان اصبحت متغيرة يتم تجسيد معانيها مثل (

العدالة – الخير – المساواة) في ضوء منطق الواقع و بتطور السياق الثقافي و السياسي للمجتمع الذي يعطي تأويلات متجذرة و معاني مختلفة لقيم العدالة و الخير و غيرها من القيم الكونية الكوزموبوليتانية .

و في الحقيقة تري الباحثة ان القيم الكوزموبوليتانية التي قامت علي أسس دينية سواء في النموذج المسيحي أو الاسلامي لم تستطع الهبوط بتلك القيم بأعتبارها كلية و ضرورية إلي الواقع بتناقضاته ، الامر الذي جعل تلك المشاريع الاخلاقية التي طرحها فلاسفة العصور الوسطي (أوغسطين و الفارابي) علي سبيل المثال تظل هذه المشاريع في أطار الممكن أخلاقيا Ethical possible و ليس المتحقق بطريقة فعلية . ذلك لان ثمة فجوة تفصل بين ما هو أخلاقي بأعتباره فكرة أو مشروع خالص و بين ما هو قائم بالفعل و يتغير وفقا لاليات تقود المجتمعات و قوانينها ، و يظل التساؤل قائم و مشروع ، كيف يلتقي الثابت بالمتغير أو المطلق النسبي بأعتباره ألتقاء ممكن و مشروع و قابل للتحقق بدلا من كونه مجرد أطروحات نظرية علي مستوي التأمل النظري؟ .

النتائج

لقد سعت الدراسة الحالية لالقاء الضوء على الاسس الابستمولوجية والميتافيزيقية للاخلاق الكوزموبوليتانية وذلك عبر تحليل الدعوة للاخلاق الكونية عبر الفكر الرواقي وفلاسفته الذين سعوا الى طرح فكرة المواطن والتشارك الانساني بالاضافة الى تسليط الضوء علي تصور الفلسفة المسيحية للقيم الكونية و فلاسفتها امثال القديس اوغسيطين الذي قدم طرحا للاخلاق الكوزموبوليتنانية مغايرا للاساس الذي استند عليه انصار المدرسة الرواقية. وقد اتضح ان الفلسفة المثالية تجد صعوبة فى اخراج تلك القيم من مرحلة الامكان الاخلاقي الى مرحلة التحقق الاخلاقي و ذلك لوجود تباين و معوقات تجعل تلك الدعاوي ممكنة. و

لهذا نجد ان الطرح الذي انطلق منه القديس او غسطين وجد صعوبة فى تحقيقة على المستوي الفعلي وكان مجرد نموذجا نظريا.

قد توصلت ايضا الدراسة الى نتيجة ان الدعاوي الفلسفية للاخلاق الكونية تستند في المقام الاول على النسق السوسيو–ثقافي وهو يتنوع و يختلف من مجتمع لاخر الامر الذي يجعل ماهو ممكنا في بلد غير ممكنا في بلد اخر. و لهذا تظل الدعوة لتأسيس اخلاقا كونيا مجرد طرحا نظريا يحتاج للتدعيم.

واخيرا تري الباحثة ان الاخلاق الكونية من الممكن تحقيقها اذا ما تم تأسيسها على قاعدة تجريبية ولهذا تصل الى نتيجة مؤادها ان المدرسة الواقعية تقدم طرحا ممكنا وهذا ما اثبتته المشاريع النظرية المعاصرة عند الفلاسفة المعاصرين.

الحواشي

([i]) مصطفي عبده ، فلسفة الاخلاق ، مكتبة المتبولي للطباعة و النشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1999، ص 22

([ii]) هانز كينج ، عالم أديان و مفكر كاثوليكي سويسري ، أهم مؤلفاته : القيم الاخلاقية المشتركة للاديان

Dale Kingsley, a beginner's guide to the history , philosophy of stoicism , **([iii])** pine peak publishing , 2016 , p 20

([iv]) محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، 1998، ص 99

([v]) أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها ، دار قباء للطباعة و النشر ، 1998، ص 383

(vi) تأليف ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1984 ، ص 283

(vii) عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، ملتزمة للنشر و الطبع ، الطبعة الثالثة ، ص 53

(viii) مصطفي عبده ، فلسفة الاخلاق ، ص 56

(ix) مراد وهبة ، مستقبل الأخلاق ، دار الثقافة الجديدة ، الطبعة الاولي ، 1994،ص35

(x) محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، 1998، ص103

(xi) مصطفي عبده ، فلسفة الاحلاق ، مرجع سابق ، ص55

(xii)عبدالله حسن زروق ، قضايا في فلسفة و علم الاخلاق ، دار الامة العربية للنشر و التوزيع ، الطبعة الاولي 2017 ، ص115

(xiii) محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، مرجع سابق ، ص 105

(xiv) سينكا فيلسوف و خطيب و كاتب مسرحي روماني (5 ق.م-65م) ، أبكتيتوس فيلسوف رواقي روماني (55م- 135 م)

(xv)عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مطبعة لجنه التأليف و الترجمة و النشر ، 1945 ،ص 190

(xvi) Kelly Arenson , the routledge handbook of Hellenistic philosophy , first published , newyork ,2020 , p 25

(xvii))عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص 192

(xviii) محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، مرجع سابق ، ص 108

([xix])عثمان امين ، الفلسفة الرواقية ، ص 203

([xx]) مراد وهبة ، مستقبل الأخلاق ، مرجع سابق ، ص 33

([xxi]) أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 385

([xxii]) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق ، ص 6

([xxiii]) المرجع السابق ، ص 285

([xxiv]) ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 285

([xxv])عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص 173

([xxvi]) Dale Kingsley, a beginner's guide to the history , philosophy of stoicism, ibid, p 38

([xxvii]) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، مرجع السابق ، ص 222

([xxviii]) عبدالله حسن زروق ، قضايا في فلسفة و علم الاخلاق، مرجع سابق ، ص 115

([xxix])عثمان امين ، الفلسفة الرواقية ، ص 10

([xxx]) Augustine , the letters of Augustine , handbook of Christian literature, by w.j.sparrow -simpson ,D.D, cornell university library , newyork,1919, p 74

([xxxi]) كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولـي ، 1993، ص30

([xxxii]) عبدالرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطي ، ملتزم للنشر و الطبع ، الطبعة الثانية ،1969، ص ص 35 –36

([xxxiii]) **زكريا ابراهيم ، اعترافات القديس اوغسطين ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1984، ص ص 659–660**

([xxxiv]) **القديس أوغسطين ، مدينة الله ، الكتاب الثامن ، نقله إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق ش.م.م ، الطبعة الثانية 2006 ، ص 378**

([xxxv]) **القديس أوغسطين ، مدينة الله ، الكتاب الرابع ، نقله إلي العربية الخور أسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق ش.م.م ، الطبعة الثانية ، 2006 ، ص213**

([xxxvi]) **عبدالرحمن بدوي ، مرجع سابق ، ص 35**

([xxxvii]) **القديس أوغسطين ، الكتاب الثامن ، مرجع سابق ، ص 377**

([xxxviii]) **كامل محمد محمد عويضة ، مرجع سابق ، ص 34**

([xxxix]) **عبد الرحمن بدوي ، مرجع سابق ، ص 38**

([xl]) **أوغسطينوس ، مقدمة قصيرة جدا ، تأليف هنري تشادويك ، ترجمة أحمد محمد الروبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، الطبعة الاولي ، 2016 ، ص ص 111 – 112**

([xli]) **عبدالرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص 39**

([xlii]) Augustine , the letters of Augustine , handbook of Christian literature, p 147

([xliii]) **القديس أوغسطين ، مدينة الله ، الكتاب الرابع ، مرجع سابق ، ص 172**

([xliv]) Augustine, on the free choice of the will , on grace and free choice , and other writing , edited and translated by peter king , Cambridge university press , first published , 2010 , p 3

([xlv]) **عبدالرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص 37**

([xlvi]) أوغسطينوس ، مقدمة قصيرة جدا ، مرجع سابق ، ص 113

([xlvii]) أوغسطين ، جاريث ب . ماثيوز ، ترجمه أيمن فؤاد زهري ، دار أفاق للنشر و التوزيع ، الطبعة الاولي 2013، ص 212